الانتصارات وادخلت الحركة القومية وحركة التحرر الوطني العربية ككل في سلسلة من الهزائم ومرحلة طويلة من الانحدار، تراجعت فيها احلام الوحدة وطموحاتها ورومانسية عصر الازدهار والبطولة القومية.

ويمكن القول ان الفكر القومي العربي يدور في مجمله حول مقولة اساسية مؤداها ان الشعوب العربية، رغم الخلافات القائمة بينها، الا انها تشكل امة عربية واحدة قوامها الخبرة التاريخية المشتركة واللغة العربية الواحدة والتراث الثقافي المشترك. ويضيف البعض الى ذلك ايضا وجود نمط اساسي للانتاج نما وتطور في البلاد العربية كلها وفق مراحل متشابهة[٩]. ومن هذا المنطلق، يطرح الفكر القومي بشكل او باخر قضية الوحدة العربية.

ان القومية العربية كتيار فكري وسياسي تجسد نفسها في السعي لتحقيق الوحدة القومية التي تعني تكامل الامة والارض في وحدة سياسية لا تتجزأ؛ هذا التكامل الذي لا يتم الا بمشاركة ابناء الامة كلهم، وفوق التراب العربي بكامله، وبالتالي فغياب اي جزء من الارض او الامة العربية عن المشاركة في هذا الحلم يعني ان الهدف لم يتحقق بعد، وان النضال ما زال مستمرا. وفي هذا المجال، تتساوى فلسطين مع غيرها من الاراضي العربية، ولكن عندما تغيب فلسطين عن المشاركة في النضال القومي لخضوعها للاستعمار الصهيوني، فان التحدي الذي يمثله ذلك للايديولوجية القومية يصبح خطيرا. بل ان موقع فلسطين الجغرافي في قلب العالم العربي يعني تأجيل احلام الوحدة او التخلي عنها نهائيا ما لم تتحرر الارض المحتلة اولا.

وهكذا، كان موقع فلسطين في قلب العالم العربي وكجزء لا يتجزأ من سوريا الطبيعية ومنطقة الهلال الخصيب وتعرضها للاحتلال الصهيوني، باعثا هاما لاستنفار الشعوب الشخصية القومية، فكانت التظاهرات والاضرابات الجماهيرية، احتجاجا على الوجود الصهيوني في فلسطين مناسبة هامة لتطوير الوعي القومي العربي، كما كان اختلاط الدماء العربية، على الارض الفلسطينية ضمن المشاركة في اعمال المقاومة المسلحة عاملا هاما في هذا الصدد.

وليس هناك ادنى شك في ان عصر القومية العربية الذهبي قد ارتبط بتأجج القضية الفلسطينية وتأكد حدة الخطر الصهيوني. لقد اثبتت النكبة عجز القطرية عن مواجهة التحدي، فكان صعود الحركة القومية ممثلا في حزب البعث وحركة القوميين العرب في اواخر الاربعينات وبداية الخمسينات. وعلى ارض فلسطين ايضا، اكتشف عبد الناصر ورفاقه حقيقة الخطر الصهيوني والفكر القومي، بحيث يمكن القول ان انحياز عبد الناصر بعد ذلك للمعسكر القومي لم يكن ليأخذ هذا الشكل لولا القضية الفلسطينية ولولا الخطر الصهيوني المباشر ضد مصر. بعبارة اخرى، يمكن القول ان الزخم الذي منحته مصر للحركة القومية العربية بانضمامها وقيادتها لها لم يكن ليتم على الاقل في هذا التوقيت بالذات الا في علاقته بالقضية الفلسطينية.

لقد ارتبطت الحركة القومية بالقضية الفلسطينية برباط وثيق، فطوال الخمسينات وحتى هزيمة ١٩٦٧، كانت النظم العربية تؤكد جدية ايمانها القومي بتأكيد جدية عدائها للصهيونية.